مفهوم الحياة الزوجية

مفهوم الحياة الزوجية

- الحياة الزوجية ارتباط ربانيٌّ وثيق، وميثاق غليظ.
- الحيـاة الزوجية مودة ورحمة، ولقـاء روحي وجسدي ملؤه الحب والحنان والدفء.
- الـزواج شركة ومؤسسة اجتماعية وعلى الشريكين أن يعملا على إنجـاح هـذه الشركـة وتميزها؛ حتـى تربح الكثير مـن العطف والمحبـة، وترتفـع أسهمها في التفاهم والتسامـح، فتحقق بذلك أهدافها المنتظرة، وتفوز بخيري الدنيا والآخرة.
- الحياة الزوجية حالة استقرار بعد قلق وتأرجح وتذبذب.
- الحياة الزوجية راحة بال، وطمأنينة نفس، وحياة قلب.
- الزواج فجر جديد، وحياة جديدة، وأجواء جديدة، إنه عالم جديد.
- الـزواج تكوين أسرة، وتربيـة أولاد، وتأجج عواطف أبوة وأمومة، وتفجير ينابيع من الأحاسيس والمشاعر النبيلة.

الزواج فطرة إنسانية:

للرجـال خُلِق النسـاء، وللنساء خُلِـق الرجـال، فالرجل نصف يبحث عن النصف الآخر، وكذلك المرأة، وقد وضع الله ﷻ في الإنسان غريزة الميل إلى الجنس الآخر؛ ليسكن إليه، ويأنس به.

ولقد جاء سيد ولد آدم بالشريعة السمحاء بيضاء نقية، إذ إن من بدهياتها محاربة الرهبانية؛ كونها تتعارض - بل تتصادم - مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتتعارض مع ميولهم وغرائزهم.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

فالرهبانية والعزوف عن الزواج أو عن الجنس الآخر ابتداع لا أصل له: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

يقول الرسول الكريم ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(١)].

الزواج مصلحة دينية

يحض القرآن الكريم على الزواج، والمبادرة بالنكاح.

﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

---

(١) رواه البخاري (رقم ٥٠٦٥) ومسلم (رقم ١٤٠٠).

وفي حديث حسن عند البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتقِ الله في النصف الباقي**»(١).

ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**لا يتم نُسُكُ الناسك حتى يتزوج**».

والشريعة تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج، ويزهد فيه ولا سيما إذا كان قادرًا عليه، ففي الحديث: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

ويدخل الله ﷻ المرأة الصالحة الجنة بسبب رضا زوجها عنها في الحياة الدنيا، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٠/٧ رقم ٥١٠٠)، والطبراني في أوسط معاجمه (٣٣٢/٧ رقم ٧٦٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣٠).

(٢) رواه البخاري (رقم ٥٠٦٣) ومسلم (رقم ١٤٠١).

(٣) رواه الترمذي (رقم ١١٦١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦١٦/٣ رقم ١٤٢٦): منكر، وكذا قال في ضعيف الترغيب والترهيب (١٢١١/٥/٢).

والرجل الخير لأهله هو خير الناس، كما أخبر بذلك خير الناس ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[١].

الزواج سنة من سنن الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

الزواج سبب لوجود الولد الصالح

فإن تربية الأولاد على المنهج الرباني من أعظم الأعمال، وربما كانت التربية الحقة سببًا لدخول الجنة.

يقول المصطفى ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

وينتفع الوالدان بشفاعة أبنائهما الصالحين، ولا سيما حفظة القرآن الكريم، وقد يكون البنات سترًا لوالديهما من النار.

روت عائشة ﷺ فقالت: «جاءتني امرأة ومعها بنتان لها، فسألتني فلم أجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها، وقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٨٩٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ١٩٤ رقم ١٩٢٤).

(٢) رواه مسلم (رقم ١٦٣١).

وذهبت، فحدثت رسول الله ﷺ حديثها، فقال: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**»[١].

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إني لآتي أهلي رغبةً في أن يخلق الله سبحانه نسمة تسبحه»، أو كما قال رضي الله عنه[٢].

المرأة خير متاع

لا يوجد فيما أعلم متعة أعظم من التمتع بالمرأة، فكيف إذا جمعت المرأة بين حسن التعامل والصلاح.

يقول المصطفى ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة**»[٣].

ويقول ﷺ: «**حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٤].

إن المتأمل في المرأة يجد فيها المتعة الحقة، الميل الجنسي، والمشاعر، والحب، والحنان، والشوق والرحمة، والعناق، والشوق، والحنين، إنها عالم من الخيال ومخلوق عاطفي عجيب.

---

(١) رواه البخاري (رقم ١٤١٨) ومسلم (٢٦٢٩).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٧٩ رقم ١٣٨٤٢)، وابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/ ٥٧٣ رقم ٣٩٢)، ولفظه: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني لأكره نفسي على الجماع، كي تخرج مني نسمة تسبح الله تعالى.

(٣) رواه مسلم (رقم ١٤٦٧).

(٤) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٧٨ رقم ١٣٨٣٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٣١ رقم ٣٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

يا نبض قلبي ويا سمعي ويا بصري يا روح روحي ويا وجدان وجداني

ولا تقتصر المتعة بالمرأة في الحياة الدنيا، بل هي خير ما يستمتع به في الدار الآخرة، إنها نعيم الآخرة المتجدد، وذروة اللذة التي لا تفنى.

يقول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦].

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

الزواج آية من آيات الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

تأمل أخي الكريم، تأملي أختي الكريمة، وتفكرا في كون الزواجِ آيةً.

قد تكون الزوجة من قبيلة وزوجها من قبيلة أخرى، وقد تكون من بلد وزوجها من بلد آخر بعيد، لا صلة بينهما ولا رحم، ثم يجمع الله ﷻ بين الاثنين، فيكونان ألصق ببعضهما من أي شخص آخر، حتى لو كانت الأم أو الأب أو الولد، إنه شيء عجيب وأمر غريب.

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَما يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَلّا تَلاقِيا

ثم تأمل في الصور الأدبية، والتعابير الرقيقة الأخاذة في ألفاظ القرآن الكريم في إيضاح طبيعة هذه العلاقة بين الزوجين.

الزواج مصلحة اجتماعية

المحافظة على النوع والنسل، إذ بغيره ينقرض البشر، ويفنى العالم: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

المحافظة على الأنساب:

فقد ظهر جليًّا واضحًا ما آلت إليه بعض المجتمعات من ضياع للأنساب، وانتشار للرذيلة والفساد، فقد خرج لهذه المجتمعات أفاعٍ وحيات تنفث سمومها في كل مكان، فكان ما كان من ضياع الحقوق، واختلاط الأنساب.

سلامة المجتمع من الانحلال:

إن أحد أهم أسباب التفسخ الاجتماعي والانحلال الخلقي الذي يتجرع مرارته العالم اليوم هو الإعراض عن الزواج الشرعي، والاتجاه إلى الرذيلة التي زينها عدو البشرية لهم، حتى صار عدد الأطفال غير الشرعيين في بعض المجتمعات يفوق عدد الأبناء الشرعيين.

وعلى الرغم من التقدم التقني الهائل الذي يعيشه الغرب اليوم، إلا أنه على الصعيد الأسري والاجتماعي في تأخر مستمر، وأصبح عقلاء الغرب ومثقفوه ينادون بضرورة الحد من هذا الانحلال الخلقي والاجتماعي بدعاوى كاذبة من نحو الحرية الشخصية، بل نادى بعض علماء الاجتماع وعلماء النفس بضرورة فصل الجنسين في المدارس والجامعات، في حين ينادي بعض أبناء جلدتنا وممن يعيشون بين أظهرنا باقتفاء أثر الغرب اجتماعيًّا وسلوكيًّا، ظانّين بذلك أن التقدم الحضاري في المشرق لا يمكن أن يحدث دون نفخ روح الغرب فيه.

إن كثرة اللقطاء وأبناء الشوارع يثقل كاهل المجتمع، ويصيبه بأدواء اجتماعية يصعب التعامل معها، فهؤلاء يهددون أمن البلد، ويزعزعون كيانه، حيث لا يوجد لدى بعضهم شيء يخسره، فيصنع ما بدا له.

وكلنا يعلم أن الثورة البلشفية الشيوعية نُودي بها أول ما نُودي في أوساط اللقطاء.

السلامة من الأمراض:

الفوضى الجنسية سلاح يفتك بالإنسانية، ويهدد الأمن العالمي، والزواج الشرعي يسهم في قفل هذا الباب، ويسهم في بناء جهاز مناعي ضد الأوبئة والأمراض الجنسية التي عصفت - ولا تزال تعصف - بالإنسانية، وما الحديث عن الإيدز والهربز والزهري بخافٍ عن ذي أذنين.

الزواج بوابة ذهبية لحياة جنسية نظيفة:

قصة جاء في أحد برامج الراديو ما مضمونه أن أحد الشباب التقى إحدى الفتيات وفق موعد مسبق، وقبل أن يسقط في مهاوي الرذيلة قال لها ممازحًا: إني مصاب بالإيدز، وأخشى أن يصيبك ما أصابني، فأجابته: لا تهتم، فإني مصابة بالإيدز منذ سنوات، فخاف خوفًا شديدًا، وفرّ منها فرار الحمر من الأسد، ولعله حمد الله، وتاب وأناب، فقد كاد يجني على نفسه وأهله لولا أن حماه الله.

السكن الروحي والنفسي:

ويتضح ذلك من سياق الآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

حيث البيئة المريحة والطمأنينة النفسية والاجتماعية، فيجد الإنسان من يساعده على خوض معركة الحياة، فيبثّه آلامه وأحلامه، فيأنس به، وتلذ الحياة والمعاش في ظله، فيتعاون الزوجان في بناء الأسرة، وتربية الأولاد للإسهام في بناء مجتمع راشد بإذن الله، وهذا كله يعود على الأمة بالخير والبركات.

وبهذا لا يكون الهدف من الزواج المتعة الجسدية واللذة الجنسية، فكل الحيوانات تشارك الإنسان في ذلك، بل الهدف أسمى وأجلّ من ذلك.

الزواج يجلب الرزق والغنى:

يقول الحق تبارك وتعالى مبينًا أن في النكاح غنًى واستغناءً بفضل منه سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

ويبيّن ﷻ أن في الزواج خروجًا من دائرة الفقر إلى دائرة الغنى، فيقول: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

ويقول ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكاتب يريد الأداء**»(١).

ويقول كذلك: «**ومن يستعفف يعفّه الله**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (رقم ١٦٥٥) وقال: هذا حديث حسن والبيهقي في السنن الكبرى (رقم ٢٢١٣٣٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) رواه البخاري (رقم ١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

ما قبل الزواج

الزوج المثالي له مواصفات خاصة، وكذلك الزوجة التي من شأنها إسعاد الزوج لها مواصفات يحسن الوقوف عندها، والحديث عنها، على أن الزوجة المثالية الكاملة الصفات غير موجودة في الحياة الدنيا، إنما هي جوائز من واسع العطاء ﷻ لعباده الصالحين في الدار الآخرة.

دعونا نتحدث عن أهم تلك الصفات التي بتوفرها أو معظمها يسعد الزوجان، وتثبت قواعد الزوجية أمام العواصف التي تهددها بالانهيار.

١- الدين:

يقول المصطفى ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

ذات الدين:

تساعدك على رفع درجة الإيمان، فربما كانت هدية المولى لك لتستقيم على الطريق السوي الذي أراده الله ﷻ لأوليائه، وكم سمعنا من القصص لأناس اهتدوا بسبب زوجاتهم أو العكس، ومن

(١) البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

ثم، فإن مثل هذه الزوجة أو ذلك الزوج يخرج من دائرة العداوة التي ذكر الله ﷻ أنها قد تكون بين الأزواج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

يقول أحدهم: تزوجت من امرأة صالحة، وفي أول ليلة من لقائنا (لقاء الزواج) أخذت تصلي في آخر الليل، وحاولت إيقاظي للصلاة، وفعلت ذلك مرارًا، فكانت ترشني بالماء الدافئ من يدين حانيتين، وكأنه هواء مكيف دافئ في ليلة باردة، وكنت أنظر إليها، وهي تصلي، فعجبت لأمرها، ثم قمت فتوضأت وصليت، وبفضل الله لم أترك صلاة الليل منذ ذلك الحين، فانظر ماذا تفعل الزوجة الصالحة؟

وإذا وافق الدينَ حسبٌ ونسبٌ وجمالٌ فقد أوتي الزوج جنته في دنياه.

ماأجملَ الدِّينَ والدُّنْيا إذا اجْتَمَعا ... وَأَقْبحَ الكُفْرَ وَالإفْلاسَ بالرَّجُلِ

ذات الدين:

ستختصر لك طريق التربية الطويل الشاق، وتساعدك على إعداد جيل صالح يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ويسهم في بناء المجتمع المسلم الذي أراده الله ﷻ.

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتَها ... أعددتَ شَعبًا طَيِّبَ الأَعْراقِ
الأمُّ روضٌ إن تعاهَدَه الحيَا ... بالرِّيِّ أورقَ أيَّما إيراقِ
الأمُّ أستاذُ الأساتِذَةِ الأُلَى ... شَغلَتْ مآثرُهم مدَى الآفاقِ

ذات الدين:

ليست غربية ليلية، تسمع لكل ناعق، وتجري وراء كل موضة أو تقليعة، همها عفافها وإرضاء زوجها، وبهذا ترحم زوجها من كثرة التسوق والسفريات الشائنة التي يعود بعدها الزوجان بالنكد والكد، ثم يلقي كل منهما اللائمة على الآخر.

وهذا لا يعني أن ذات الدين لا تحب الجديد، ولا تتزين لزوجها، لا، لكنها تعرف متى تطلب ومتى تعطي، ومتى تقدم ومتى تحجم.

يكفي أنها تعلم أن الله أمرها بالقرار في بيتها، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فقد وصف الله ﷻ نساء الجنة بأنهن مقصورات في البيوت، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾. [الرحمن: ٧٢].

يقول أحد أصدقائي: إنه في أثناء حديثه مع زوجته التي تعمل مديرة مدرسة أنها كثيرًا ما تصارحه، فتقول: إنني بعد تجربتي الطويلة في العمل أكتشف يومًا بعد يوم أن أفضل مكان للمرأة هو بيتها.

ولست هنا أطالب بإقفال مدارس البنات، أو منع المرأة من ممارسة العمل الذي ربما كان مصدر رزقها، لا.. بل أطالب بتعليمها تعليمًا راقيًا، ولا يوجد أي مانع من نيلها أعلى الشهادات؛ لأن ذلك سينعكس على تربيتها لبناتنا في المدارس التي ربما يتولى تربية أبنائنا وبناتنا غيرها من جنسيات مختلفة، ثم لا يكون همهن زرع القيم النبيلة في عقول بناتنا وقلوبهن، بل ربما أسهمن في ضياع الهوية الإسلامية وإسقاط ما تبقى من قيم إيمانية لدى بناتنا.

ذات الدين:

غالبًا نشأت في بيئة طيبة، فنبتت نباتًا حسنًا؛ لذلك فاختيار الكريمة الحشيمة، ذات الأصل الكريم يزيدك كرمًا ونبلًا، وينعكس ذلك على عقبك، وهو قانون المزرعة الشهير، فبقدر اهتمامك بالأرض التي ستبذر فيها بقدر الخارج من هذه الأرض، فما تزرع تحصد.

قصة يحكى أن رجلًا مسافرًا مرّ بأهل بيت، فاستطرقهم، ففُتح الباب، وإذا بامرأة تخبز وبجانبها أبناؤها، فأمرت أبناءها بحسن الضيافة، وقدمت ما تيسر من الطعام، ثم خرج الرجل يحمد الله على نعمائه، وشكر أهل الدار وذهب، وبعد مغادرته الدار التقى رجلًا قادمًا نحو الدار فما سلم وما حيا، ولكنه عبس وبسر، وقال: ما أظنك إلا أكلت زادي، وشربت مائي، ثم دخل الدار، فصاح بالمرأة، فلطمها، ووبخها لصنيعها وأولادها بالضيف.

واصل الرجل المسافر سيره حتى تعب، ثم بدا له دار قريب، فيمم شطره، فإذا بامرأة تخبز، فاستطرق الدار، وما إن رأته المرأة حتى أمرت بالباب فأوصد، فهمّ الرجل بالرحيل، فإذا برجل قادم، فسلم عليه وحياه، وأكثر من الترحاب به، ثم حمل متاعه، وأنزل رحله، وأدخله الدار التي طُرد منها، وعرف أن المرأة أمرت بطرده، فأنّبها ووبخها وقدم لضيفه ما تيسر من الطعام، وعندما ودع ضيفه لاحظ ضحكه وعجبه، فقال: ما الذي يضحكك أثابك الله؟ قال: لقد لقيت في سفري هذا عجبًا، ثم قص عليه ما كان من الرجل السابق وزوجته، وما كان من أمره وزوجته، فقال له الرجل: اعلم يا أخي، أن زوجتي أخت ذلك الرجل، وأن زوجته هي أختي.

ويقال: إن رجلًا مسلمًا جاءه خاطب لابنته، وكان للرجل جار يهودي، فاستشاره في الأمر، فقال اليهودي: إن كسرى كان يرغب في ذات الحسب، وقيصر يرغب في ذات الجمال، ونبيّكم محمد يحبذ ذات الدين، فانظر بأيهم تقتدي؟

٢- الاغتراب:

الاغتراب في الزواج مندوب لأسباب منها:

- الحفاظ على نجابة الولد.
- ضمانًا للسلامة من الأمراض والعاهات التي قد تصيب الأبناء.

- توسيع دائرة التعارف بين الناس.
- تنمية الروابط الاجتماعية، إذ يصبح الأرحام مهما بعدوا قريبين من الزوج وعائلته وربما قبيلته، وكلنا يعلم ما أعقب زواج المصطفى ﷺ من جويرية بنت الحارث من إكرام المسلمين لقبيلتها، ثم دخولهم في دين الله.

٣- الأبكار:

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].

وعندما أخبر جابر بن عبدالله نبيه ﷺ بزواجه سأله: أبكرًا أم ثيّبًا؟ فقال: ثيّبًا. فقال المصطفى ﷺ: «**فهلا تزوجت بكرًا تلاعبها، وتلاعبك**»(١).

وجاء في الحديث: «**عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ؛ فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ**»(٢).

قصة يقال: إن رجلاً في عهد الواثق عُرضت عليه جاريتان: إحداهن بكر والأخرى ثيّب، فسأل أيّكما بكرًا؟ فأجابت إحداهن: أنا، وصمتت الأخرى، ثم قالت: يا سيدي، كثرت الفتوحات في عهد الواثق، فاستحسن كلامها، وأخذها.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٦٧)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر (رقم ٧١٥).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٨١/٧ رقم ١٣٨٥٥)، وابن ماجه (رقم ١٨٦١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢/٢ رقم ٦٢٣).

٤- الوَلُود

وتعرف الوَلُود بالنظر إلى حالها وحال أمها وأخواتها، ويفضل الكشف الصحي قبل الزواج؛ لأن هذا من شأنه سلامة الأبناء من الأمراض التي قد تنشأ بسبب إصابة أحد الأبوين أو كليهما.

طرفة **يقول أحدهم:** ذهبت أنا وزوجتي إلى المستشفى من أجل الحدّ من عملية الإنجاب مدة مؤقتة، فقد كثر لدي الأبناء، ولله الحمد، وأصبحت زوجتي تعاني متاعب التربية والعناية بالأبناء، خاصة أن أعمارهم متقاربة، وقابلت في المستشفى أحد أقاربي من الشيوخ الكبار، وكان لا يكاد يسمع من يحادثه، وعندما جلست بجواره بادرني قائلًا:

عسى ما خلاف!

قلت: أبشرك لا يوجد خلاف.

قال: فما الذي جاء بك؟

قلت: جئت أنا وزوجتي نراجع الطبيبة.

قال: وماذا عند زوجتك؟

قلت: كثر الأولاد ولله الحمد، ونريد أن نكتفي بما وهب الله حتى وقت آخر.

قال: وما الذي ستفعله الطبيبة؟

قلت: ستحاول عمل شيء يمنع زوجتي من الإنجاب.

قال: كيف؟

قلت: ستركب لها (لَوْلَبًا).

قال: وأين ستركبه؟

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، ربما تضعه في أذنها!

الحب قبل الزواج

كيف يقع الناس في الحب؟

في مجتمعاتنا المدنية اليوم، يلتقي الجنسان في السوق أو في الشارع أو في ميدان العمل، فيتعرفان إلى بعضهما، وربما أعجب أحدهما بالآخر، وإعجابه قد ينبع من صفات الآخر الهيكلية، أو الأخلاقية، أو الاجتماعية، وتكون هذه الصفات أو بعضها سببًا في وقوع أحدهما في حب الآخر، فتحدث الصعقة الكهربائية التي تأسر القلب والعقل، وبهذا يكون قد وقع أحدهما، أو كلاهما في فخ الحب.

لكن، هل هذا هو الحب الحقيقي؟

طريقة أخرى للوقوع في الحب:

يمكن لأي فتى أو فتاة أن يلتقي الآخرَ إلكترونيًّا، إما عن طريق الهاتف أو عن طريق الإنترنت، وبعدها يزداد الحديث، وتطول جلسات التواصل، حتى يقع أحدهما أو كلاهما في شراك الحب.

في كلتا الحالتين يمكن أن تطول العلاقة العاطفية أو تقصر، وربما تتوج بالزواج، وأحيانًا عند أول لقاء ربما تنطفئ جذوة الحب، ويختفي تنميله الذي طالما سرى في جسد المحب وعندها يكتشف (أو تكتشف) أن ما كان لا يعدو وخزة إعجاب أو لذعة حب سرعان ما ذهبت، وزال أثرها، وفقد ما كان يشعر به المحب تجاه محبوبه عند الصدمة الأولى.

نعود للسؤال السابق ونحاول الإجابة عنه.

إن تجربة الحب كثيرًا مـا تخدعنا، ونرى أن هذا كفيل لإقامة حياة زوجية رائعة أو على الأقل جيدة، وفي الحقيقة يحجب عنا هذا الحب كثيرًا من عيوب المحبوب، ويكون من الصعوبة اكتشاف ذلك؛ لأننـا نصحو مـن النوم، فنرى صـورة المحبوب، وننـام على ذكره، ويأتينا في أحلامنا، فيكاد يكون الحلم الأكبر في حياتنا، الذي علينا أن نكافـح من أجل تحقيقه، ولا نصدق مـا تقوله أخواتنا أو أمهاتنا من عيـوب المحبوب، ونعتقد أن هذه الأحاسيس الرائعة التي نشعر بهـا نتيجة هذا الحب هي شـيء أبديّ، ولن يستطيـع أحد أن يحول دون سعادتنا.

مع الأسف كل هذا من نسج الخيال، وليس من الحقيقة بمكان، وبعـد مـرور الوقت نكتشف بعض العيوب التي لا تـروق لنا، أو بعض الصفـات والسلوكيات التي تثير سخطنا، وتسبب إزعاجنا، فيذهب ذلك الإحساس، وربما لا يعود أبدًا.

يذكـر أن عزة دخلت على الحجاج، فقال لهـا: يا عزة، لا أرى فيك ما قال كثير، فقالت: إنك لم ترني بالعين التي رآني بها.

وقد صدق من قال:

وَما الحبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلا مِنْ مَلاحَةٍ وَلكِنَّه شَـيْءٌ بِه الرُّوحُ تَكْلَفُ

تنمية الحب

خلاصة الأمر أن الحب قبل الزواج ليس حبًّا حقيقيًّا، وأن أكثر الدراسات تشير إلى فشل الأزواج الذين كانت تربطهم علاقات عاطفية قبل الزواج.

وقد أشارت دراسة فرنسية إلى أن ٧٥٪ من الزيجات التي بنيت على علاقات سابقة باءت بالفشل، في مقابل ٥٪ من الزواج الذي لم يسبق بعلاقات عاطفية.

هذا إذا علمنا أن الحب قبل الزواج:

- تهديد للعفة.
- أمراض نفسية.
- أحلام تتبعثر.

وكما ذكرنا سابقًا، فإن العاشقين لا يريان عيوب بعضهما، ويحجب الهوس العاطفي النتوءات والتجاعيد في الطرف الآخر؛ لأن الحب يعمي ويصم.

حتى إذا اكتشف كلٌّ منهما حقيقة صاحبه، وزال التصنع والتجمل، وظهرت العيوب كانت الصدمة.

فإما أن نحيا حياة بائسة، ونصبر على بعضنا كمحبين سابقين، وإما أن نهرب من الواقع، وننهي هذا الزواج لندخل في تجربة أخرى.

والواقع أن هذا الجيل (جيلنا الحالي) اختار الهروب والطلاق؛ لأنه غير قادر على تحمل المسؤولية، في حين أن الآباء والأجداد (من الأجيال السابقة) ربما صبروا على الخيار الأول.

الحب قبل الزواج عالم من الوهم، وقد يزين الشيطان للعاشقين هذا الطريق، ويوهمهم أن الفردوس المفقود في انتظارهم، وربما أوقعهم في شباك الحرام، ثم أكبّهم على وجوههم في حمأة الرذيلة والخزي والعار، ولا ريب فقد خدع أبوينا بالشجرة التي حرمها الله، فكان سببًا في إخراجهما من جنات النعيم، فهو يوهم العشاق بحتمية السقوط، ويصور الحب على أنه شيء لا يمكن طرده، ويتم دون إرادة، وزاد الطين بلة ما تنشره وسائل الإعلام عبر أفلام هابطة من تصوير الحب على أنه رقة مشاعر، ولقاءات، وغزل، وقبلات، وعناق.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ليلة العمر

تشهد هـذه الليلة لقـاء الأحبة، لقـاء العواطـف والأحاسيس والمشاعـر الفياضة، تشهد لقاء الأنصاف، إنها من ربيع العمر، إنها سكـن روحين شاردين، شـاء الله ﷻ ائتلافهما، وصائمين دنا وقت إفطارهما، إنها فرحة عامرة يجتمع فيها الأحباب، ويكثر فيها الورد والأزهـار، والأناشيـد والأشعـار، وتلهج القلوب بالدعـاء للعروسين بالبركة والتوفيق.

هَـذِهِ لَيلتي وحُلـمُ حَياتي ... بينَ ماضٍ منَ الزَّمانِ وَآتي
الهوَى أنـتَ كُلُّـه والأَماني ... فامْلَأِ الكأسَ بالغَرامِ وَهاتِ

وهذه بعض الإضاءات التي أوصي بها الزوجين في يوم الزفاف وليلته:

- يفترض الوصـول إلى هذه الليلـة دون قلق نفسـي أو إرهاق جسـدي فتكون النفوس قد هيأت، وتكون القلوب قد استعدت لهـذا اللقاء الجميـل، ويفضـل أن تكون هـذه الليلة في وقت مناسب، فلا تكون في وقت حيضة المرأة؛ لأن مثل هذا الوقت قـد يسبب للفتاة مواجع وآلامًـا تفسد فرحة الزوج والزوجة، فالأولى أن يكون الزواج في غير وقت الطمث.

- التحصين: على الزوجة وكذلك الزوج في يوم زفافهما أن يحصنا نفسيهما بالأدعية المأثورة والآيات المعروفة في هذا السياق، كالمعوذات وأدعية الصباح والمساء التي منها: «**باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**»(١).
  - «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»(٢).
  - «**أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(٣).
- يخرج العروسان في تلك الليلة بكامل زينتهما، فتقتحمهما الأعين، وتلاحقهما الأبصار، فالأفضل المبادرة بالأذكار.
- الدعاء والمبادرة بالصلاة، واللجوء إلى الله ﷻ بأن يبارك في هذا الزواج، وأن يرزق الذرية الصالحة، وأن يديم الود والوفاق والمحبة والعشرة الحسنة.
- ويستحسن أن يأخذ الرجل بناصية زوجته، ويدعو بما شاء، ويصلي ركعتين إن شاء، كما في وصية ابن مسعود لرجل جاءه، فقال: إني تزوجت جارية بكرًا، وأخشى أن تفركني - أي تكرهني - فقال: إن الإلف من الله والفرك من الشيطان،

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٥٠٩٠)، والترمذي (رقم ٣٣٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٧٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٧١).

ليكره ما أحل الله، فإذا دخلت عليها فمرها فلتصلِّ خلفك ركعتين، وقل: «**اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيَّ، اللهم ارزقهم مني، وارزقني منهم، اللهم اجمع بيننا ما جمعت إلى خير**»[١].

- وإن قال: اللهم أعطني خيرها وخير ما جبلت عليه، واكفني شرها وشر ما جبلت عليه، فحسن.
- ويجدر بنا هنا أن ننبه على أن يحترز الزوجان من أن يدنسا طهر تلك الليلة بالمعاصي والمنكرات، كما يفعل بعض السفهاء الجهال من الانسياق خلف العادات الزائفة الدخيلة على مجتمعاتنا المسلمة، من نحو الدخول على النساء وتبادل القبلات أمام المدعوين أو المدعوات، وعلى مرأى ومسمع من المراهقين والمراهقات والصغير والكبير، وهذا من محق بركة الزواج وكفران النعمة والعياذ بالله، وبعضهم يبالغ في المأكل والمشرب ودعوة المغنيين والمغنيات والشعراء، وربما اقترض الأموال الطائلة ليحيي تلك الليلة تشبهًا بالذين لا خلاق لهم.
- فالله الله في شكر المنعم، والوسطية في حفلات الزواج، وعدم الإسراف والتبذير فيما لا يعود إلا بالشقاء والنكد.
- السكينة السكينة، والطمأنينة والهدوء وملء قلب الآخر بالكلمات المعبرة وتبادل التبريكات، فليس من آداب الزواج

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٩١/٦ رقم ١٠٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٢٠٤/٩ رقم ٨٩٩٣)، قال الهيثمي في المجمع (٥٣٦/٤ رقم ٧٥٤٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص٢٤).

ولا الرجولة أن يبدأ الزوج ليلته، وكأنه في حلبة مصارعة، فيكون همه اقتحام الحصون، وإراقة الدماء، إن من يبدأ ليلته أو لقاءه بهذه الطريقة قد يخسر تلك الليلة الجميلة، وبعض الثقافات الموروثة تلزم الرجل بأن يكون أكثر شجاعة وأكثر عنفًا، وتُحرّض الزوجة على الامتناع والدفاع والنضال، ما قد يسبّب إشكالات لا تحمد عقباها.

- إن الأفضل أن يبدأ الزوج بملاطفة زوجته والتعبير عن فرحته بها، وكسر الحواجز بأمتع الكلام والمديح والثناء؛ لأن هذا يساعد على القرب الروحي، ويذيب الجليد الذي يمنع امتزاج القلبين، واقتران الروحين.
- وقد يلجأ بعض الأزواج إلى اجتماع لطيف وطعام خفيف، فيشربان بعض العصائر، ويتناولان بعض الوجبات الخفيفة التي من شأنها تهدئة الأعصاب وذهاب القلق والتوتر الذي قد ينشأ بين العروسين في لحظة اللقاء، وهذا يمنح الزوجة مزيدًا من الأمان، ويشيع الأنس والمرح في تلك الليلة أو ذلك اليوم.
- الدعاء بما جاء به الحديث الشريف عند الجماع: «**باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدًا**»[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٧٣٩٦)، ومسلم (رقم ١٤٣٤).